

قطبة جمعة

علامة الموت - الذكر

للتشيخ صالح بن عبد الله العصيمي

حفظه الله تعالى

٢٧ / جمادى الآخرة / ١٤٣٣

النسخة الإلكترونية (٢)

الشيخُ لم يراجع التفريغ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[الخطبة الأولى]

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] [الأحزاب].

أَمَّا بَعْدُ...

فإنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

وَبَعْدُ؛

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ؛ إِنَّ لِلْمَوْتِ عَلَامَاتٍ يُعْرَفُ بِهِ، وَإِنَّ لِلْحَيَاةِ عَلَامَاتٍ تُعْرَفُ بِهَا، فَمَتَى أُطْلِعَ عَلَى عَلَامَاتِ الْمَوْتِ؛ عَلِمَ أَنَّ الْعَبْدَ قَدْ فَارَقَ الْحَيَاةَ، فَصَارَ مَعْدُودًا فِي عَالَمٍ آخَرَ، مُفَارِقٌ لِعَالَمٍ سَابِقٍ، وَيَجْتَهِدُ الْأَطِبَّاءُ فِي تَحْرِي الْعَلَامَاتِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْمَوْتِ، وَمَعَ طُرُوءِ أَحْوَالٍ لَمْ تَكُنْ لِلنَّاسِ مِنْ قَبْلُ؛ صَارَ الْأَطِبَّاءُ أَنْفُسَهُمْ يَخْتَلِفُونَ فِي عَلَامَاتِهِ الْمَحَقَّقَةِ مِنْهُ، وَيَنْسَى الْأَطِبَّاءُ وَنَحْنُ عَلَامَةٌ عَظِيمَةٌ تُبَيِّنُ فَرْقًا شَاسِعًا بَيْنَ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ، لَكِنَّهُ لَيْسَ مَوْتُ الْأَبْدَانِ وَحَيَاتُهَا، وَإِنَّمَا مَوْتُ أَعْظَمُ، وَحَيَاةُ أَكْبَرُ، فَهُوَ فَرْقَانُ بَيْنَ مَوْتِ الْقُلُوبِ وَحَيَاتُهَا، فَإِنَّ مَوْتَ الْقُلُوبِ أَشَدُّ عَطَبًا وَأَعْظَمُ ضَرَرًا مِنْ مَوْتِ الْأَبْدَانِ، وَإِنَّ حَيَاةَ الْقُلُوبِ أَشْرَفُ قَدْرًا، وَأَعْظَمُ دَرَجَةً مِنْ حَيَاةِ الْأَبْدَانِ.

وَقَدْ جُلِّيتْ تِلْكَ الْعَلَامَةُ فِي حَدِيثِ نَبِيِّ عَظِيمٍ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ، مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ» فَجَعَلَ الْفَرْقَانُ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ هُوَ ذِكْرُ اللَّهِ

ﷺ، فَمَنْ ذَكَرَ اللَّهَ فَهُوَ حَيٌّ، وَمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ ﷻ فَهُوَ مَيِّتٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ الْمَوْتُ مَوْتًا تُفَارِقُ بِهِ الرُّوحَ الْبَدَنَ، وَلَكِنَّهُ رُبَّمَا مَوْتُ سَيَمَتْ بِهِ الْقُلُوبُ وَالْمَرْءُ لَا يَزَالُ يَتَنَفَّسُ رَوْحَ الْحَيَاةِ، وَلَكِنَّهُ مَوْتُ أَعْظَمَ؛ وَهُوَ مَوْتُ الْقُلُوبِ وَحَجَبُهَا عَنِ اللَّهِ ﷻ، وَهُوَ أَشَدُّ عَذَابُهَا، فَإِذَا كَانَتِ الْأَبْدَانُ تُعَذَّبُ بِنَوْعٍ مِنَ السَّجْنِ وَالْعِقَابِ، فَإِنَّ الْقُلُوبَ تُعَذَّبُ بِأَعْظَمِ سَجْنٍ؛ وَهُوَ حَجَبُهَا عَنِ رَبِّهَا ﷻ، وَلَا جُلْ هَذَا جَلَّتْ هَذِهِ الْعَلَامَةُ فِي التَّفْرِيقِ بَيْنَ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ، أَنَّ ذَاكِرَ اللَّهِ ﷻ حَيٌّ، وَأَنَّ مَنْ لَا يَذْكُرِ اللَّهَ ﷻ فَهُوَ مَيِّتٌ، وَهُوَ بَعْضُ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٠) [الجمعة]، فَإِنَّ مِنْ فَلَاحِ الْعَبْدِ أَنْ يَكُونَ حَيًّا، وَمِنْ حَيَاتِهِ أَنْ يَكُونَ ذَاكِرًا لِلَّهِ ﷻ، وَإِنْ مِنْ خَسَارِ الْعَبْدِ أَنْ يَكُونَ قَلْبُهُ مَيِّتًا، وَإِنْ أَعْظَمَ عَلَامَاتِ مَوْتِ قَلْبِهِ؛ تَرْكُهُ ذِكْرَ رَبِّهِ.

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَلِيِّ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

[الخطبة الثانية]

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا حَمْدًا، وَالشُّكْرُ لَهُ مُتَوَالِيًا وَتَتَرَى، وَأَشْهَدُ أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَهُوَ الْمَعْبُودُ حَقًّا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ بَرًّا وَصِدْقًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ...

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: إِنَّ الْأَطِبَّاءَ حِينَ يَلْمَحُونَ مَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي الْمُعِينَةِ عَلَى حَيَاةِ الْأَبْدَانِ يُرْشِدُونَ إِلَيْهِ، وَيَأْمُرُونَ بِهِ، وَيَحْثُونَ عَلَيْهِ، وَيَكُونُ بِمَنْزِلَةِ عَلِيَّةٍ عِنْدَهُمْ؛ لِدَلَالَةِ عُلُومِهِمْ عَلَيْهِ وَإِذَا عُلِّمْنَا فِي الشَّرْعِ أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ حَيَاةِ الْقَلْبِ ذِكْرُ اللَّهِ ﷻ؛ فَإِنَّ الشَّرْعَ أَيْضًا جَاءَ بِالْحَثِّ عَلَيْهِ، وَالتَّرْغِيبِ فِيهِ، وَالْأَمْرِ بِهِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (٤١) [الأحزاب]، وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ»، قَالُوا: وَمَا الْمُفْرَدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ»، فَبَذَكَرِ اللَّهُ ﷻ تَحْيَا الْقُلُوبَ، وَيَحْصُلُ السَّبْقُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَأَلِظُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ بِذِكْرِ رَبِّكُمُ ﷻ، فَإِنَّهُ قُوْتُ قُلُوبِكُمْ، وَحَيَاةُ أَرْوَاحِكُمْ، وَسَبَبُ أَرْبَاحِكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنَّ مِنْ طَرَائِقِ الْإِلْطَاءِ بِذِكْرِ اللَّهِ ﷻ الْمَحَافَظَةُ عَلَى الْأَذْكَارِ الْمُوَظَّفَةِ فِي أَوْقَاتِهَا فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، وَعِنْدَ اقْتِرَانِهَا بِالْأَحْوَالِ الدَّاعِيَةِ إِلَيْهَا، فَإِذَا حَافَظَ الْإِنْسَانُ عَلَى أَذْكَارِ النَّوْمِ وَالِاسْتِيقَاطِ، وَالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَالصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ، وَغَيْرِهَا مِنْ الْأَذْكَارِ الْمُوَظَّفَةِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؛ فَإِنَّهُ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ، ذَكَرَ هَذَا الْمَعْنَى أَبُو عَمْرٍو بْنُ الصَّلَاحِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى

فَإِذَا حَارَ الْعَبْدُ هَذِهِ الرُّتْبَةَ فَقَدْ صَارَ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ، فَادَّرَعَ ثَوْبًا مِنَ الْفَلَاحِ عَظِيمًا.
 اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الذَّاكِرِينَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الذَّاكِرِينَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الذَّاكِرِينَ،
 اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهِ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ
 الرَّاشِدِينَ.

اللَّهُمَّ آتِ نَفْسَنَا تَقْوَاهَا، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسَنَا تَقْوَاهَا وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا.
 اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالْعِفَافَ وَالْغِنَى،
 اللَّهُمَّ أَفْسِمَ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ، وَمِنْ
 الْيَقِينِ مَا نُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا،
 اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا، وَأَبْصَارِنَا، وَقُوتِنَا أَبَدًا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا،
 اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا،
 اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ فِتْنَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَخَافُكَ فِيْنَا وَلَا يَرْحَمُنَا،
 اللَّهُمَّ آمِنِ الْمُسْلِمِينَ فِي دُورِهِمْ، وَأَصْلِحْ أُمَمَتَهُمْ وَوَلَاةَ أُمُورِهِمْ، وَاجْعَلْ وَلَايَتَهُمْ فِي مَنْ خَافَكَ
 وَابْتَغَى رِضَاكَ،
 اللَّهُمَّ فَرِّجْ كُرْبَ الْمَكْرُوبِينَ، وَنَفْسَ هُمُومِ الْمَهْمُومِينَ، وَاقْضِ الدَّيْنَ عَنِ الْمَدِينِينَ، وَأَطْلِقْ أَسْرَى
 الْمُسْلِمِينَ، وَاشْفِ مَرَضَنَا وَمَرَضَانَا وَمَرَضَى الْمُسْلِمِينَ،
 اللَّهُمَّ انْصُرِ الْمُسْلِمِينَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انْصُرِ الْمُسْلِمِينَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ،
 اللَّهُمَّ انْصُرِ الْمُسْلِمِينَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] .